بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ المجلس (٠٠٤)

قراءة مقدمات الكتاب[1].

[إهداء الكتاب][2]

إذا كان المتقدمون يهدون لملوك أعصارهم نتائج قرائحهم[3] فذلك لأنهم في أزمنة لا ظل فيها لإرادة الأمة.

[1] الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبد ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد فنشرع في قراءة، هذا الكتاب الذي تواعدنا عليه وهو كتاب "**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**"، لمؤلفه العلامة الشيخ مبارك بن محمد الميلي رَحِمَهُ اللَّهُ، وذكرنا يوم أمس ترجمة له ونسيت أن أذكر المرجع الذي قرأت منه الترجمة المرجع كتاب "آثار الشيخ مبارك الميلي" لمؤلفه شيخنا أبي عبد الرحمن محمود لقدر الجزائري، وهو من المشايخ الفضلاء المعروفين حفظه الله تعالى ورعاه، والترجمة قد قرأتها من كتابه هذا يقع في ثلاث مجلدات جمع فيه آثار الشيخ مبارك الميلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

نستهل في قراءة الكتاب، والطريقة هي أن نقرأ قراءة وما احتاج إلى شيء من التنبيه للاستفادة من تاريخ هذا البلد، فإني أشير إليه وأذكره، وربما تمر علينا أشياء يقتصر على قراءتها على انفراد، وقد لا أقرأها ولا أتعرض لها، نقرأ الكتاب من أوله إلى آخره، نبدأ بالمقدمات، وهي مقدمات فيها شيء من الفوائد.

[2] الإهداء يشرع أن تهدي، ومنه ما جاء في الصحيح في قصة، قال أحد الصحابة لآخر (**ألا أهديك هدية؟**) ثم علّمه الصلاة الإبراهيمية، فالإهداء بين يدي الكتاب مأذون ومشروع، ولا بأس به.

[3] القرائح جمع قريحة وهي الفكرة، وخلاصة ما يهدي إليه العقل والفهم والذكاء.

أما اليوم ونحن في عصر عمت فيه الديموقراطية كل الشعوب[1] أو كادت وعرفت الشعوب أن إرادة الحاكم إنما تتقوى من جبنهم وجمودهم[2]، وأن الإرادة الحقيقية التي بيدها رفع مستوى الأمم هي إرادة الشعب فقد صار الكتاب يهدون كتبهم لشعبهم أو لعظيم من عظمائه هو رمز عظمة ذلك الشعب.

ونحن نهدي كتابنا هذا إلى الشعب الجزائري إلى شبابه المفكر ورجاله العاملين المخلصين[3].

"مبارك بن محمد الميلي"

---

[1] ليس إقرار لها، وإنما حكاية حال.

[2] الكلام ينزّل حسب ظرف وحال، وما يكتنف الإنسان من الظروف والأحوال، وقد كان في زمن يتسلط عليهم المستدمر الكافر.

[3] قبلنا الهدية جزاه الله خيرا.

[إسداء شكر]

لا أكون غير معترف بجميل يحتمه علي إخلاصي في هذا التأليف إذا ما نوهت بشأن من لم أعرف منهم غير النشاط النادر والعزم الفولاذي في مؤازرتي في هذا العمل، الذي فيه بلاغ للشبيبة عن وطنيتهم[1].

وما جئت بدعا إذا ما ذكَّرت بإعجاب ما شاهدت منهم أثناء قيامهم بما نيط بعهدتهم بغبطة وسرور. على أن الشقة شاقة والمرتقى صعب.

أولئك هم الذين أذكر منهم- وملء فمي الفخر بهم- الشبان العاملين الأصدقاء: عيسى الزهار الترجمان بالأغواط[2]، محمد التهامي[3] الترجمان بميلة، عمر دهينة أحد المعلمين بالمكاتب الفرنسية[4] وأفذاذ نبغاء الرسامين[5].

هؤلاء هم الذين لهم من اليد في معاضدتي ما يشكرهم عليها الفن والعلم والتاريخ والوطن[6].

"مبارك بن محمد الميلي"

---

[1] يثني ويذكر جميل جهد من أعانه.

[2] هؤلاء كانت لهم إعانة.

[3] جاءني سؤال على الواتس، قال: هل يصح التسمية باسم التهامي، وهل من الصحابة من يسمى بذلك، وما معناه؟ ما يظهر فيه معنى سيء، وهل في الصحابة من اسمه هكذا؟ لا أدري، لست محيطا بأسماء كل الصحابة، ولم يتيسر لنا البحث، لكن فيهم التيهان، وغيره، فما يظهر فيه معنى سيء "**التهامي**" وإن كان أصل الكلمة من التهمة، لكن هو بعيد عنها. فالتسمية به لا حرج فيه.

[4] "**الفِرنسية**" مكسورة كما قال البشير الإبراهيمي، قيل له: **فَرنسا أو فِرنسا**، قال: **اكسرها كسرها الله**، وهذه الحركات لها فقه في اللغة، لا ترى لغة العربية عفوية، يقولون فقط! لا، الفاعل مرفوع ليس مرفوعا بلا سبب، هو مرفوع لأن الأصل أن يكون شريفا، يشرف، ولهذا قيل لكل ما يسفّل الأصل فيه الكسر، يقال "**ذِبحٌ**" لأنه يُضجع ويُذبح، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ولكلام ابن القيم رحمه الله كلام جميل في فقه الحركات على الكلمات، وكذلك لشيخه.

[5] أي بعض اللوحات، أو الآثار.

[6] سنستفيد من خلال القراءة أيضا كما لا بأس به من اللغة.

[رسالة من الأستاذ عبد الحميد بن باديس إلى المؤلف][1]

إذا كان الكثير من الكتاب مولعين بطلب تقريظ كتبهم من إخوانهم لحمل عوام القراء على استحسانها فإني في صف القليل منهم الذين يكلون إلى القارئ الحكم فيما قدموه له من غير شرط عالمية ولا إنصاف.

فلكل أن يقول فيما كتبناه ما شاء. والأيام هي التي ستنخل[2] ما يقولون، وتميز جيد القول من رديئه.

وإذا كان عظماء كل أمة هم المكونين لتاريخها[3] فالواجب أن لا نهمل نظراتهم فيما هو من نتائج حياة أمثالهم. وكتابنا هذا من نتائج حياة عظماء الأمتين العربية والبربرية[4] فلا غرو إذ أثبتنا نظرة عظيم من عظماء جيلنا فيه مع تمسكنا بمبدئنا في التقاريظ.

كتب إلينا الأستاذ الجليل عبد الجميد بن باديس أحد شيوخنا وزعيم نهضتنا بنظرة في كتابنا. وهذا نص رسالته:

•--------------------------------• ((حصن الماء)) مساء الثلاثاء ١٥/ ١/ ١٣٤٧

الحمد لله

أخي مبارك!

سلام ورحمة، حياك الله تحية من علم وعمل وعلم، وقفت على الجزء الأول من كتابك ـ[تاريخ الجزائر في القديم والحديث]ـ فقلت لو سميته ـ[«حياة الجزائر»]ـ لكان بذلك خليقا[5]. فهو أول كتاب صور

[1] ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيخ مبارك الميلي.

[2] تنخل تصفّي.

[3] هذا يدل على فضل التاريخ وفائدته، عظماء كلّ أمة هو من يكون تاريخها، فمعرفة التاريخ هذا أمر مهم.

[4] لأنه يحكي تاريخهم وما كان لهم.

[5] فمعرفة تاريخ الأمة بعث الحياة فيها. (**لكان بذلك خليقا**) أنت خليق بكذا أي حري.

الجزائر في لغة الضاد صورة تامة سوية، بعد ما كانت تلك الصورة أشلاء متفرقة هنا وهنالك. وقد نفخت في تلك الصورة من روح إيمانك الديني والوطني ما سيبقيها حية على وجه الدهر، تحفظ اسمك تاجا لها في سماء العلا، وتخطه بيمينها في كتاب الخالدين.

أخي مبارك!

إذا كان من أحيا نفسا واحدة فكأنما أحيا الناس جميعا، فكيف من أحيا أمة كاملة؟ أحيا ماضيها وحاضرها لح وحياتهما عند أبنائها حياة مستقبلها. فليس- والله- كفاء عملك أن تشكرك الأفراد، ولكن كفاءه أن تشكرك الأجيال. وإذا كان هذا في الجيل المعاصر قليلا، فسيكون في الأجيال الغابرة كثيرا. وتلك سنة الله في عظماء الأمم ونوابغها، ولن تجد لسنة الله تبديلا[١].

وأنا- واحدا من هذا الجيل- بلسان من يشعرون شعوري، أشكرك لأقوم بما علينا من واجب، لا لأقابل ما لك من حق.

جازاك الله خير ما جازى به العاملين المخلصين للدين والوطن بعلم وتحقيق وإنصاف. والسلام عليك من أخيك.

"عبد الحميد بن باديس"

[١] قد يغفل الناس قدر من يعايشون، لكن لا يعرف قدرهم إلا من جاء بعدهم، فيعرفون قيمة ما قدّموا، فجزاه الله ﷻ خيرا على ما قدم لنا في هذا الكتاب على ما سنستفيد منه إن شاء الله تعالى.

[الجزء الأول بين يدي الأمير شكيب أرسلان][1]

اتصل امير البيان ورأس الشرق المفكر الامير شكيب أرسلان بالجزء، الأول فكتب الى صديقنا الشيخ الطيب العقبي رسالة جاء فيها قوله عن ذلك الجزء:

"واما تاريخ الجزائر فوالله ما كنت أظن في الجزائر من يفري هذا الفري. ولقد أعجبت به كثيرا كما أني معجب بكتابة ابن باديس.

فالميلي وابن باديس والعقبي والزاهري حملة عرش الأدب الجزائري الأربعة ".

[1] شكيب أرسلان، شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان، هذا ولد بلبنان ونشأ بها، أديب وكاتب ومؤرخ سياسي مشهور ومعروف، ولد سنة ١٢٦٨هـ وتوفي سنة ١٣٦٦هـ وأما الميلادي ١٨٦٩م إلى ١٩٤٦م يعني بعد مبارك الميلي بسنة واحدة.

[شكر واعتذار]

لا شيء أشق على الكاتب العربي من كتابة التاريخ على النهج العصري. ولا تاريخ أغمض وأقل مادة لدى القارئ العربي من تاريخ الجزائر. ولا كتب أكثر تحريفا من الكتب العربية المؤلفة فيه. وعلى نسبة أهمية تاريخ ابن خلدون كان حظه من التحريف حتى ذهبت ثقة لقارئ بما فيه من اعلام الناس والأمكنة[١].

وقد قاسيت في تصحيح الأعلام وجمع المواد وإيضاح الأغراض التاريخية وتقريب الأسلوب من النهج العصري ما لا يعلمه إلا من عمل عملي وكان مثلي جاهلا بغير العربية بعيدا عن العواصم العلمية منهوك الوقت بالأشغال. ولست- علم الله- أمن بهاتيك المقاساة، وانما أريد الاعتذار للقراء والأدباء عن تأخر نشر هذا الجزء الثاني وعما عسى أن يكون به من نقص علمي أو فني.

وكلما أجملت لهم اعتذاري أجمل شكري لمن أمدني منهم بإعارة كتاب أو دلني عليه. وأخص منهم بالذكر الشابين الأديبين المخلصين صديقي أحمد توفيق المدني[٢] وعمرو دهينة حامل شهادتي التعليم بالمكاتب الفرنسية والترجمة بالمحاكم الشرعية. فقد عربا لي فصولا من الفرنسية وبذلا في إعانتي كل ما في استطاعتهما الأدبية. جازاهما الله أحسن الجزاء وذكرهما الجيل المستقبل بوافر الثناء.

الاغواط في ٢/ ١/ ٣١٥٩

"مبارك بن محمد الميلي"

---

[١] يعني من حيث الطباعة، وقع فيه تحريف وأخطاء وأغلاط.

[٢] من رجالات الجزائر هذا البلد، ومن الرجالات الذين كان لهم أثر في النهضة من حيث الثورة، ومن حيث جمعية العلماء المسلمين، وكان مع رجالات جمعية العلماء، وله لسان، وكتاب، وقلم، وله مؤلفات رَحِمَهُ اللهُ.

[مقدمات]

أما بعد حمدا لله الملك القدير، والصلاة والسلام على رسوله البشير النذير، وعلى آله وأصحابه الذين ركبوا لنشر العدل كل هول خطير، إن التاريخ مرآة الغابر ومرقاة الحاضر[1]، فهو دليل وجود الأمم، وديوان عزّها ومبعث شعورها، وسبيل اتحادها وسلّم رقيّها، إذا درسه أبناء أمة وأحاط خبرا بأدواره شبابها عرفوا وجودهم[2]، فلم تبتلع قوميتَهم القوميات الحيةُ النهمة المجاورةُ لهم[3]، وأدركوا ما لماضيهم من المجد وما لأسلافهم من الشرف، فلم يقبلوا تنقيص المنقصين، وعبث المدلسين، وقدح المغرضين، وشعروا بعز السيادة ولذة الحياة، فأنِفوا من سيطرة المستبدين، ولم يخضعوا لذل المستعبدين، ورأوا سعادة الأوائل بالاتحاد والتناصر، وإنما أصابهم وأرداهم إنما هو التفرق والتدابر[4]، وكيف وجدت الروابط بين المتخالفين، وسبب انحلالها بين المتحالفين، فسلكوا بأمتهم إلى الاتحاد مناهجه، وتحاموا مهاوي الشقاق ونكبات الخلاف، ووضعوا بين أيديهم برامج الأمم التي ارتقت بها وحلّقت في سماء العز، ثم نزلت على الأمم التي تكرتها الحوادث جيفا صرعى، فنهشتها وتقوتت من ضعفها، واقتدرت من عجزها، فاتخذوا من تلك البرامج سلّما لرقي أمتهم، ونالوا حظّهم من الجو والهواء، كما لم ينقصوا نصيبهم من اليبس والماء.

---

[1] فيه كلام بلاغي وموجز وجميل، ومنه جملٌ تحفظ، (التاريخ مرآة الغابر) الذي مضى، (ومرقاة الحاضر) من الرّقي، فالتاريخ هو مرآة ترى فيه الأخطاء والعيوب، وما ينبغي أن يُفعل، وبه يرتقي من يحضر ومن يأتي مستقبلا.

[2] هنا يعدد لك فوائد، عرفوا وجودهم، فليسمعه الذين ديدنهم سب الجزائر، هذا البلد، وهذا الوطن ..الخ سيعرفون ما لهذا البلد من عراقة وتجذّر في التاريخ.

[3] يعني قومية هذا البلد، رغم ما تفعله القوميات الأخرى فلا تلتهمها ولا تشربها، لأن له شخصية متجذرة في التاريخ.

[4] السعادة بالاتحاد والتناصر، والزوال بالتفرق والتدابر.

[المتعلمون الجزائريون والتاريخ]

إن المتعلمين اليوم من أبناء الجزائر قطعوا الصلة بينهم وبين ماضيهم، وجهلوا ما فيه من عز وذل ونعيم وبؤس، ومدنية وهمجية، وسيادة وعبودية.

ترى المتعلم بالمدارس يعرف من تاريخ بعض الأمم الأجنبية ما يجدر به أن يعلم مثله من تاريخ شعبه، ولا يحس منه تقديمه عليه، فكيف بالاقتصار عليه والاكتفاء به؟[١]

إن النسبة بين التاريخين الشعبي والأجنبي، مثل النسبة بين الضروري والكمالي[٢]، والكمالي إنما يحصل له هذا المثل إذا جاء بعد الضروري، فإن سبقه لم يكن كماليا وكان ضرره أكثر من نفعه، ومن مضار تقديم تاريخ الأمة الأجنبية قصر الكمال والسيادة عليها، وحصر المعارف والحضارة فيها، وذلك تزهيد للمتعلم في وطنه وتنفير له من بني جنسه[٣]، ولقد بلغت الحال ببعض هؤلاء المتعلمين أن صار ينظر إلى جنسه نظر المؤرّخ إلى ما قبل التاريخ.

فإذا دار الحديث عن الشعوب وقسطها من الحياة، وأفضى إلى قومه رأيته من جهله بتاريخهم، يستدل على حياة الماضين بحياة الموجودين، ويستنتج من ذلك أن لا حضارة للأوائل[٤]، إنما هم قوم عاشوا في الهمجية وسقوط الأخلاق بعيدين عن نُظم الحياة وفقه طبيعة الكون وسنن العمران، ويرى أنه اعتمد في هذا الحكم القاسي الجائر على أعدل شاهد، قياس الغائب على الشاهد، وإنه لقياس فاسد، وماذا

---

[١] يقرأ تاريخ الصين وتاريخ اليابان وكم لهم من نحاس وحديد، وماذا يحدهم من الشمال والجنوب، وعدد البحور والأنهار، وأما بلده فلا يعرفه!

[٢] شيء ضروري لا تستغني عنه النفس، الكمالي يأتي بعد أن يشبع من الحاجة.

[٣] إذا دُرّس تاريخ غيره وعرف ما فيه من المزايا، ولا يعرف تاريخه، فلا شك أنه يقدم الأمم الأجنبية على أمته، والوطن الأجنبي على وطنه.

[٤] ينظر إلى حالته الآن، حيص بيص لا يملك شيئا، يقول: هذه الأمة عندها تاريخ!! ما عندهم شيء! فيستدل كما قال على حياة الماضين بحياة الموجودين، وهذا غير صحيح، وإنما الواجب للعاقل أن ينظر إلى ماضيه كيف كان، وهل له ماض مجيد، وقوي، ومجد خالد، فيرتكز عليه ليبني مرة أخرى.

عسى أن تبلغ قيمة قياس دعامته الجهل[1]، ومما قد يرتقي في حكمه ويلحق المستقبل بالماضي، فيقضي على مستقبل أمته بالشقاوة والتعاسة[2]، ويرى أن داءها عياء، لا يوجد له دواء، ولربما طلب لها من الأدوية ما هو عين الداء[3]، وهذا الفريق من المتعلمين، نود له لو يعتني بمطالعة الكتب التي ألفت في تاريخ وطنه، فإنها كثيرة متنوعة المباحث مختلفة الألسنة، فمتى طالع كلام الكتاب واستعان بذكائه في تمييز الخطأ من الصواب، اهتدى إلى حقيقة بني جنسه وذهب ذلك بقنوطه ويأسه، فلم يسد على من حوله طرق العمل بل يفتح لهم أبوابا واسعة من الأمل، وهناك متعلمون تعلموا بالمساجد مبادئ بعض العلوم اللسانية والدينية، وأهملوا من برامج قراءتهم التاريخ، فإذا فارقوا المساجد وقُدّر لبعضهم أن يحي حياة علمية، ألفيته يقتصر على مراجعة ما درسه من الكتب، وإن دعت الهمة أحدهم إلى التوسع ففي الفنون التي أخذ مبادئها في المسجد، فرطوا بذلك في قراءة علم يعود على أخلاقهم بالتهذيب، وعلى عقولهم بالتدريب على التفكير ذلك علم التاريخ، وتلك فوائده.

وإن منهم لقوم يخربون عقولهم بأيديهم، ويطفئون نور الله -العقل- بأفواههم، ذلك باشتغالهم بقراءة كتب المناقب والخوارق، وإنها لكتب سيئة الأثر في النفوس، تطبع في المرء عقيدة الاتكال على ما وراء الطبيعة، وعدم السعي في هذه الدنيا حسب قوانينها التي أحكم وضعها إله حكيم، وأرشدنا إلى قوانين ثابتة، وإن خُرقت أحيانا فذلك الخرق حادث جزئي لا يتخذ قاعدة عامة في الحياة[4]، فهذا الصنف من الكتب يحبس الألباب ويصدها عن ربط المسببات بالأسباب، ولو اشتغل هؤلاء القوم بدل هذه الكتب

---

[1] وكأن كلام الشيخ هنا فيه إيماء، مبارك الميلي كأنه يومئ إلى شيء سار عليه ابن خلدون في تاريخه، وانتقد عليه، وهو قياس الغائب على الشاهد، لا يصح أن يُقدح في تاريخ أمة بحسب ما هي عليه، وتبنى عليه نتائج فيقال: الغابر لم يكن شيئا، هذا غير صحيح، هذا قياس فاسد كما قال

[2] يقول إن هذه الأمة لا شيء، وماضيها لا شيء، إذن مستقبلها لن يكون شيئا.

[3] إذا جاء به من الخارج كما يفعلون.

[4] يعني يرد هنا على الصوفية الذين يبالغون في التراجم بذكر الخوارق، ويبقى الناس ينتظرون تلك الخوارق التي قد تأتي وما يزعمونه من كرامات قد لا تثبت، ويستبعد وقوعها جدا، فهذا الذي يقصد.

بكتب تاريخ البشر، وحياة الأمم، لأناروا عقولهم، وأطلقوها من ذلك السجن، تكتشف من خبايا الأيام، وخفايا الطبيعة ما يعود على الإنسانية عامة، وبني جنسهم خاصة بالفوائد الجليلة، وذلك أهم ما يطلبه الإنسان من تكميل عقله بالعرفان[1].

---

[1] يعني علم التاريخ مما يكمّل به المرء عقله، ويزداد به معرفة.

[أنا والتاريخ]

أنا من المتعلمين بالمساجد انشغلت أيام الدراسة بما به يشتغلون[1]، فقضيت دور التعلم بعيدا عن هذا العلم شأن رفقائي، لا عناية لي بكتبه ولا بحث لي عن دواوينه، ذلك أني لم أعاشر مدة طلبي للعلم من يلفت نظري لهذا العلم النّفيس، ولا من يذكر لي من فصوله ويشرح لي من أسراره ما يشوقني إلى محاسنه، ويبعثني إلى ورود عذب مناهله.

أول ما قرأت من كتب هذا العلم كتب التراجم، تراجم الفقهاء والنحاة، لاشتغالي بهذين الفنين، فتشوقت نفسي إلى معرفة رجالهما[2]، وبعد أن قضيت عصر التلمذة رأيتني في حاجة إلى زيادة الاطلاع على بعض العلوم، ومنها ما يغنيني فيه القدر الذي حصّلته منه، حبب إليّ إذْ ذاك من الكتب كتب الأقدمين، أهل القرون الأولى من الإسلام، وكتب المتأخرين من العصر الحاضر، ونفرت نفسي نفارا لم أملك زمامها معه، من مؤلفات القرون الوسطى غالبها.

طالعت فيما طالعت بعض الرسائل ألفت حديثا في التاريخ، فتعرّفت بها إلى هذا العلم، ورغبت في الاستزادة منه فأخذت أبحث عن مواده ولكن لم أتصل[3] لعوارض إلا على القليل منها، لم تحدثني نفسي ولا يوما واحدة بالكتابة في هذا العلم الذي يعجز عن تأديته على الطراز الحاضر من هو أوسع مني علما، وأغزر مادة وأقوى إدراكا، فإن المؤرخين اليوم صاروا يهتمون بأبواب من التاريخ لا عناية

---

[1] شيء من حياته العلمية.

[2] كما ذكرت لكم علاقة التاريخ بالعلوم الأخرى، ما من علم إلا وله تاريخ، الفقهاء لهم تاريخ، وعندنا عند المالكية "ترتيب المدارك في أعيان مذهب الإمام مالك"، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي رحمه الله المتوفى سنة ٥٤٤هـ كتاب نفيس غاية، ذكر ترجمة مالك رحمه الله وأصوله، وما ورد فيه، ثم أعيان مالك على الطبقات، كذلك كتاب "الديباج المذهب في أعيان المذهب" لابن فرحون لمتوفى سنة ٧٩٩هـ، فهذا في أعيان وفقهاء المالكية كذلك، وفي النحاة كتب موجودة "بغية الوعاة في طبقات النحاة" للإمام السيوطي ٩١١هـ

وهذا فيه الإشارة إلى أن العلم الذي تهتم به ينبغي أن تكون على معرفة بتاريخه نشأة ورجالا ونحو ذلك.

[3] الأظهر لم أتحصل.

لمؤلفات العربية بها، وصار القارئ اليوم إن كان متقصما للروح العصرية، يعد التاريخ الخالي من الأبحاث الاقتصادية، وذكر حال الآداب ومبلغ الحضارة تاريخ قصص وأساطير لا شأن للعاقل بها[١].

كنت أنفق بعض أوقاتي في مطالعة التاريخ العام حتى دعاني بعض الأصدقاء إلى وضع كتاب في تاريخ الجزائر، حمله على ذلك حسن الظن، فحرك عزيمتي ووجه اهتمامي للبحث في تاريخ وطني العزيز، وتقديم ما يرتبط به على ما يتعلق بغيره، ولم يحدث لي رأي أو يخطر لي خاطر لإجابة مطلبه وتلبية دعائه[٢]، وزاد في إحجامي عن موافقة هذا الصديق أني أعلم في الوطن رجالا هم أعرف مني بهذا الشأن، وأولى مني بهذا العمل، وبعد أن قضيت حصة من الزمن في مطالعة تاريخ الجزائر وحده تكرر عليّ الطلب من أصدقاء آخرين، فريثت في الإجابة عسى أن يظهر كتّاب من أبناء الجزائر بقلم عربي يسد حاجاتنا، ويفي بغرضنا، فألح علي بعضهم إلحاحا لم يدع لي ما أعلل به تمهلي في الإجابة.

هناك رأيت أن أبتدئ العمل واضعا حجر الأساس، معترفا أني لست من فرسان هذا الميدان، فالذهن كليل، والمادة العربية قليلة جدا، والفرنسية أجهلها[٣]، وقد فات وقت تلافيها، فلم يحملني على الخوض في هذا الموضوع الهام غيرُ الشعور بواجب خدمة الوطن، وقرّاءُ العربية طالبا من أهل المقدرة والدراية أن لا يجهلوا كبر ما عليهم من المسؤولية أمام الوطن والعربية، وأن لا يجعلوا بتفريطهم في نشر هذا الفن حظ الجزائر منقوصا مغبونا، فمن آنس من نفسه الكفاءة ووجد من الوقت سعة، فلا يبخل على بني جلدته، وليبذل في سعادتهم ما في استطاعته[٤].

---

[١] هذا من أسباب تأليفه للكتاب.

[٢] كانوا يحبون الجزائر، خلاف الشباب الآن!

[٣] هذه بعض المعيقات، فيه كتب مكتوبة في التاريخ بهذه اللغة الفرنسية وهو لم يكن يحسنها.

[٤] ونحن ما نجد من وقت وسعة لا نبخل على بعضنا البعض بأن نقرأه ونصبر، تجدون قليلا من الثقل فنصبر لتعرفوا تاريخ هذا البلد عسى أن يكون في قراءة الكتاب بعث روح الحياة وطلب المجد كما كانوا عليه من قبل.

نكتفي بهذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.